حول النزعات العنصرية في العقيدة والممارسة الصهيونية

صبري جريس

اتخذت الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/١١/١٩٧٥ ، في دورة انعقادها الثلاثين ، بناء على توصية اللجنة الاجتماعية التابعة لها ، قرارا يقضي باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصري ، وذلك باكثرية ٧٢ صوتا ضد ٣٥ صوتا ، وامتناع ٣٢ دولة عن التصويت وغياب ٣ دول . واثار هذا القرار موجة استنكار شديدة لدى الدوائر الصهيونية والفئات المتعاطفة معها داخل اسرائيل وخارجها ، في اماكن مختلفة من العالم ، ثم حملة تشهير ضد الامم المتحدة عامة والدول التي صوتت لصالح القرار خاصة . كذلك قامت بعض الدول الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة الاميركية ، باصدار تصريحات تنم عن تهديد للدول التي تبنت هذا القرار او صوتت لصالحه ، بينما اعلنت اكثر من منظمة دولية او اقليمية استنكارها له باعتباره مجحفا بحق الصهيونية ، وينم عن انحياز لجانب العرب . وفي الوقت نفسه شنت مختلف الاجهزة الاسرائيلية والصهيونية الرسمية حملة مضادة على القرار ومؤيديه ، تخللتها نداءات تقليدية الى يهود العالم تدعوهم الى «دعم اسرائيل وتحقيق الصهيونية» .

ان ردة فعل الدوائر الاسرائيلية والصهيونية على قرار الجمعية العمومية ليست غريبة ، اذ ان هذا القرار عدا عن كونه ادانة عالمية لعقيدة يزعم اتباعها انهم « حركة تحرر قومي » يهودية ، ولهذا لا بد ان يثير سخطهم ، يمس في الوقت نفسه باحدى الاسس القانونية المهمة التي ارتكزت عليها اسرائيل عندما اعلن عن قيامها كدولة ، وذلك بوضعه علامة استفهام على قرار الجمعية العمومية الصادر في ٢٩/١١/١٩٤٧ والقاضي بتقسيم فلسطين الى قسمين ، واقامة دولة يهودية على قسم منهما . كذلك قد يعتبر هذا القرار بمثابة بداية اعادة نظر من قبل المجتمع الدولي في شرعية الانتداب الذي فرض على فلسطين مع نهاية الحرب العالمية الاولى ، وشرعية الاجراءات التي اتخذت بموجبه واسفرت في نهاية الامر عن صدور قرار تقسيم فلسطين لسنة ١٩٤٧ .

ان ما يثير الغرابة في هذه الحملة المضادة هو اشتراك عدد من الهيئات والمؤسسات المختلفة في العديد من دول اوروبا واميركا فيها ، وبعضها بحماس بالغ تكاد تظهر معها كأنها ملكية اكثر من الملك ، رغم انه ليس لهذه المواقف ما يدعمها ولا اساس موضوعيا لها . ان نظرة سريعة ، مع قليل من الجهد ، الى العقيدة الصهيونية وتاريخها وممارستها العملية في فلسطين وخارجها ، قبل قيام اسرائيل وبعدها ، تكفي لاظهار النزعات العنصرية في الصهيونية بشكل واضح ، يبدو معه ان مندوبي الدول التي صوتت الى جانب قرار ادانة الصهيونية باعتبارها شكلا من اشكال العنصرية لم يكونوا على خطأ في موقفهم هذا ، وبالتالي ليس هناك ما يبرر الحملة التي تشنها ضدهم الاجهزة الصهيونية او المتعاطفون معها او بعض الهيئات الدولية والشعبية التي تعتقد انها